

تفسير ابن كثير

هذا إخبار من القرآن D عن هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخره فقال : { يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب } أي الذين كذبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم راد ولا صده عنهم صاد { وما الله يريد ظلما للعباد } أي إنما أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وتكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره فأنفذ فيهم قدره ثم قال : { يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد } يعني يوم القيامة وسمي بذلك قال بعضهم لما جاء في حديث الصور أن الأرض إذا زلزلت وانشقت من قطر إلى قطر وماجت وارتجت فنظر الناس إلى ذلك ذهبوا هاربين ينادي بعضهم بعضا وقال آخرون منهم الضحاك بل ذلك إذا جيء بجنهم ذهب الناس هرابا منهم فتلقاهم الملائكة فتردهم إلى مقام المحشر وهو قوله تعالى : { والملك على أرجائها } وقوله : { يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان } وقد روي عن ابن عباس B والحسن والضحاك أنهم قرأوا يوم التناد بتشديد الدال من ند البعير إذا شرد وذهب وقيل لأن الميزان عنده ملك إذا وزن عمل العبد فرجح نادى بأعلى صوته ألا قد سعد فلان بن فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا وإن خف عمله نادى ألا قد شقى فلان بن فلان وقال قتادة : ينادي كل قوم بأعمالهم ينادي أهل الجنة أهل الجنة وأهل النار أهل النار وقيل سمي بذلك لمناداة أهل الجنة أهل النار { أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم } ومناداة أهل النار أهل الجنة { أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين } ولمناداة أصحاب الأعراف أهل الجنة وأهل النار كما هو مذكور في سورة الأعراف واختار البغوي وغيره أنه سمي بذلك لمجموع ذلك وهو قول حسن جيد والله أعلم وقوله تعالى : { يوم تولون مدبرين } أي ذاهبين هاربين { كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر } ولهذا قال D : { ما لكم من الله من عاصم } أي لا مانع يمنعكم من بأس الله وعذابه { ومن يضل الله فما له من هاد } أي من أضله الله فلا هادي له غيره وقوله تبارك وتعالى : { ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات } يعني أهل مصر وقد بعث الله فيهم رسولا من قبل موسى E وهو يوسف E كان عزيز أهل مصر وكان رسولا يدعو إلى الله تعالى أمته بالقسط فما أطاعوه تلك الطاعة إلا بمجرد الوزارة والجاه الدنيوي ولهذا قال تعالى : { فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن نبعث الله من بعده رسولا } أي ينستم فقلتم طامعين : { لن يبعث الله من بعده رسولا } وذلك لكفرهم وتكذيبهم { كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب } أي كحالكم هذا يكون حال من يضل

ا لإسرافه في أفعاله وارتياح قلبه ثم قال D : { الذين يجادلون في آيات ا بغير سلطان
أتاهم { أي الذين يدفعون الحق بالباطل ويجادلون بالحجج بغير دليل وحجة معهم من ا
تعالى فإن ا D يمقت على ذلك أشد المقت ولهذا قال تعالى : { كبر مقتا عند ا وعند
الذين آمنوا { أي والمؤمنون أيضا يبغضون من تكون هذه صفته فإن من كانت هذه صفته يطبع
ا على قلبه فلا يعرف بعد ذلك معروفا ولا ينكر منكرا ولهذا قال تبارك وتعالى : { كذلك
يطبع ا على كل قلب متكبر { أي على اتباع الحق { جبار { وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة
وحكي عن الشعبي أنهما قالا : لا يكون الإنسان جبارا حتى يقتل نفسين وقال أبو عمران الجوني
وقتادة : آية الجبايرة القتل بغير حق وا تعالى أعلم